مجلة علمية محكمة © ردمد ISSN: 3009-5611 الإيداع القانوني بملف الصحافة 2024/01م

الدكتور محمد الصادقي العماري
تخصص العقيدة والفكر الإسلامي - مدير مركز تدبير الاختلاف للدراسات والأبحاث

# اختلاف العقول والمدارك في إدراك الحقائق:

## "رؤية قرآنية مؤسسة للاختلاف العقدي والفكري"

Different minds and perceptions of reality

**ملخص:**

تهدف هذه الدراسة، إلى استكشاف ظاهرة تباين الفهم والإدراك العقلي للحقائق من منظور قرآني. تؤكد الدراسة أن العقل البشري، بصفته قوة إدراكية مميزة ومناطًا للتكليف، يظهر تنوعًا كبيرًا في آلياته الإدراكية. تُبرز أن القرآن الكريم لم يغفل هذا التباين، بل أقره كحقيقة كونية وإرادة إلهية، مؤصلاً قواعد لهذا الاختلاف.

يتناول البحث تعريف العقل ووظيفته في السياق القرآني، ثم ينتقل إلى إقرار مبدأ اختلاف العقول والمدارك كحقيقة ثابتة ومشيئة إلهية. بعد ذلك، تحدد الدراسة القواعد القرآنية التي تفسر هذا التنوع الإدراكي، وهي: "اختلاف طرق الإقناع العقلي" التي تتناسب مع مستويات الفهم المختلفة، "اختلاف العلوم والمعارف"، و"اختلاف المصادر المعرفية وتنوعها"، مما يؤدي إلى تباين في النتائج المعرفية، وأخيرا "الاعوجاج في الاستدلال العقلي"، والذي يشمل الاعتماد على "الظن في محل اليقين"، و"اتباع الهوى"، و"التقليد الأعمى دون تعقل". وتُختتم الدراسة بتأكيد أن التنوع الإدراكي هو جزء من التصميم الإلهي الذي يثري الوجود البشري، وتقدم رؤية قرآنية شاملة لكيفية فهم هذا الاختلاف وتدبيره. الكلمات المفتاحية: العقل، الحقيقة، الفكر، القرآن الكريم، الاختلاف، العقيدة.

Abstract

This study aims to explore the phenomenon of varying intellectual comprehension and perception of truths from a Quranic perspective. It asserts that the human intellect, as a distinct cognitive faculty and the locus of moral responsibility, exhibits significant diversity in its perceptual mechanisms. The study highlights that the Quran acknowledges this variation as a cosmic reality and a divine will, establishing principles for this divergence.

The research defines the intellect and its function within the Quranic context, then proceeds to affirm the principle of differing intellects and perceptions as an established truth and divine will. Subsequently, the study identifies the Quranic principles that explain this cognitive diversity: "varied methods of intellectual persuasion" that suit different levels of understanding; "differences in sciences and knowledge"; "diversity and multiplicity of cognitive sources," leading to varying cognitive outcomes; and finally, "crookedness in intellectual inference," which includes relying on "conjecture where certainty is required," "following whims and desires," and "blind imitation without contemplation." The study

مجلة علمية محكمة © ردمد ISSN: 3009-5611 الإيداع القانوني بملف الصحافة 2024/01م

concludes by emphasizing that cognitive diversity is an integral part of the divine design that enriches human existence, offering a comprehensive Quranic vision for understanding and managing this variation. Keywords: Intellect, Truth, Thought, Holy Quran, Disagreement, Creed.

المقدمة:

إن العقل البشري هو القوة الإدراكية الجوهرية التي ميز الله بها الإنسان، فجعله أساسًا للتكليف ومناطًا للتمييز بين الحق والباطل. ومع ذلك، يكشف تتبع مسار الفكر الإنساني وتجارب الحضارات عن تباينات عميقة في كيفية إدراك الحقائق، ليس فقط على مستوى الفروق الفردية، بل ضمن أطر معرفية ومنهجية أوسع.

هذا التنوع في الإدراك العقلي يثير تساؤلات جوهرية حول أصوله، آلياته، وتأثيراته على الفهم البشري للوجود والتشريع. لم يغفل الخطاب القرآني هذه الظاهرة المعقدة، بل قدم تأصيلًا نظريًا رصينًا يوضح جذورها وأبعادها. فالقرآن، بوصفه مصدرهداية شاملة، لم يسع إلى توحيد العقول على نمط إدراكي واحد، بل أقرّ بمبدأ اختلاف المدارك العقلية كحقيقة كونية وإرادة إلهية كامنة في طبيعة الخلق. هذا الإقرار لا يعكس مجرد تفاوت عارض، بل يشي بحكمة إلهية تهدف إلى إثراء الوجود الإنساني بتنوع القدرات العقلية وطرائق تحصيل المعرفة.

أولا: إشكال الدراسة:

تتحدد الإشكالية الرئيسية لهذه الدراسة في كيف يؤصل القرآن الكريم لظاهرة اختلاف العقول والمدارك في إدراك الحقائق الفكرية، وما هي القواعد القرآنية التي تفسر هذا التنوع الإدراكي؟ ينبثق من هذا الإشكال تساؤلات فرعية: ما هو مفهوم العقل ووظيفته في السياق القرآني؟ وكيف أقر القرآن مبدأ اختلاف العقول والمدارك؟ وما هي أبرز القواعد التي يحددها القرآن لتفسير هذا الاختلاف في الإدراك العقلي؟

ثانيا: أهمية الدراسة

تكمن أهمية هذه الدراسة في عدة جوانب:

1- الأهمية العلمية: تسهم في تعميق الفهم القرآني لظاهرة التنوع الإدراكي، وتقديم إطار نظري مستوحى من الوحي لتفسير أسباب الاختلافات الفكرية بين البشر.
2- الأهمية المنهجية: توضح كيف يمكن للمنهج القرآني أن يكون مرجعًا لتصنيف وتحليل آليات الإدراك والاستدلال البشري.
3- الأهمية التطبيقية: تساعد في فهم أصول الخلافات الفكرية والدينية، مما يمهد لتعزيز ثقافة الحوار والتفاهم والتعايش السلمي بين أصحاب الرؤى المختلفة، بناءً على منظور قرآني يرى في الاختلاف غاية وحكمة.

ثالثا: منهج الدراسة:

تعتمد هذه الدراسة على المنهج التحليلي الاستقرائي. يتمثل المنهج التحليلي في تحليل النصوص القرآنية والآيات الكريمة المتعلقة بالعقل، الإدراك، والاختلاف في الفهم، مع الاستعانة بتفسيرات العلماء المسلمين القدامى والمعاصرين. أما المنهج الاستقرائي فيقوم على تتبع ورود الكلمات والمفاهيم المحورية في القرآن الكريم واستخلاص القواعد والمبادئ العامة التي تؤصل لظاهرة اختلاف العقول والمدارك.

رابعًا: خطة الدراسة:

مجلة علمية محكمة © ردمد ISSN: 3009-5611 الإيداع القانوني بملف الصحافة 2024/01م

تنقسم هذه الدراسة إلى أربعة نقاط رئيسية، بالإضافة إلى مقدمة وخاتمة:

أولاً: تعريف العقل ووظيفته في السياق القرآني.

ثانياً: إقرار مبدأ اختلاف العقول والمدارك في إدراك الحقائق.

ثالثاً: قواعد الاختلاف في الإدراك العقلي للحقائق الفكرية، ويشمل:

1- اختلاف طرق الإقناع العقلي.
2- اختلاف العلوم والمعارف.
3- اختلاف مصادر المعرفة.
4- الاعوجاج في الاستدلال العقلي.

أولا: تعريف العقل ووظائفه في السياق القرآني

قبل الخوض في قواعد الاختلاف، من الضروري تحديد المفهوم الإجرائي لـ "العقل" في هذا البحث. لغوياً، تدور مادة (ع.ق.ل) حول معنى الإمساك والربط، والكف والشد[1000]. فالعقل في اللغة هو القوة التي تشد صاحبها وتكفه وتعقله عن الخطأ، أو الوقوع في الهلكة، فهو بمثابة الكابح للإنسان الضابط الذي يضبط تفكيره وممارساته.

أما في السياق القرآني، فلم ترد كلمة "العقل" كاسم صريح، بل وردت بصيغة الفعل (يعقلون، تعقلون) في 49 موضعا[1001]، غالباً في سياق الحث على النظر في الآيات الكونية والتشريعية[1002].

وقد ميّز الراغب الأصفهاني بين إطلاقين للعقل في القرآن: الأول: القوة المهيّئة لقبول العلم: وهي الغريزة الإدراكية التي هي مناط التكليف. والثاني: العلم المستفاد من تلك القوة: أي المعرفة الناتجة عن عمل هذه القوة[1003].

فالعقل قوة كاشفة عن الحقائق وموجهة للسلوك الإنساني، وقد وردت للعقل في السياق القرآني وظائف متنوعة منها: "الفهم" و"التميز" و"التدبر" و"الاعتبار" و"الامتثال" و"التقويم" و"التفكر" و"الاستدلال" ..[1004].

---

1000- مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله الرازي(ت:666هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، ط/5، (1420هـ/1999م)، ص:215. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني (ت:502هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ط/1، ( 1412هـ)، 577.

1001- بصيغة (يعقلون)﴿لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(البقرة:164) وردت في اثنتين وعشرين موضعا. وصيغة (تعقلون) ﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ وردت في أربعة وعشرين موضعا. وبصيغة (يعقلها) ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾(العنكبوت:43) وردت في موضع واحد. وبصيغة (عقلوه) ﴿مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾(البقرة:75) وردت في موضع واحد. وبصيغة (نعقل) ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ﴾(الملك:10) وردت في موضع واحد.

1002- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد رضا(ت: 1354هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (1990م)، 202/11.

1003- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهانى (ت:502هـ)، ص:577-578.

1004- المعجم المفهرس لمعاني القرآن العظيم، محمد بسام رشدي الزين، دار الفكر، دمشق، سورية، دار الفكر المعصر، بيروت، لبنان، ط/1، (1416هـ/1995م)، مادة (عقل) ص: 818-821.

مجلة علمية محكمة © ردمد ISSN: 3009-5611 الإيداع القانوني بملف الصحافة 2024/01م

والقصود بالعقل في هذه الدراسة، العقل الآلة[1005] أو الغريزة[1006] أو الصفة[1007] أو أداة الإدراك أو القوة المهيئة لقبول العلم[1008]، وهي مناط التكليف[1009]، يقول الأصفهاني: "وكل موضع رفع فيه القرآن التكليف عن العبد لعدم العقل فإشارة إلى هذه الآلة"[1010].

والمراد بإدراك الحقائق: معرفتها وفهمها، ف" الإدراك: إحاطة الشيء بكماله"[1011]، "فالقوة العاقلة إذا وصلت إلى ماهية المعقول وحصلتها كان ذلك إدراكا"[1012]، سواء كانت حقيقة علمية دينية أو دنيوية كونية مما يعتمد فيه على العقل البشري.

وبالجملة، "العقل" هو القوة المهيئة لقبول العلم، وهو غريزة إدراكية تمثل مناط التكليف ووسيلة الإنسان لإدراك الحقائق وتوجيه سلوكه، إذ تدور مادته اللغوية حول معنى الإمساك والربط والكف عن الخطأ. وقد ورد العقل في القرآن بصيغة الأفعال (يعقلون، تعقلون) في سياق الحث على النظر والتدبر، وتعددت وظائفه فيه بين "الفهم"، و"التمييز"، و"الاعتبار"، و"الامتثال"، و"الاستدلال".

والمراد بالعقل هنا هو "الآلة" أو "الغريزة" الكاشفة عن الحقائق، التي بغيابها يُرفع التكليف، ويكون "إدراك الحقائق" إحاطةً بمعناها وفهمًا لها، سواء كانت دينية أو كونية.

ثانيا: إقرار مبدأ اختلاف العقول والمدارك في إدراك الحقائق

الاختلاف الإنساني مشيئة إلهية، خلق الله تعالى الناس عليها، لاختلاف مدارك العقول التي ركبها فيهم فهي في أصل خلقتهم، يقول ابن عاشور في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾(النحل:93) اقتضت: "مشيئة الله تعالى أن يخلق الناس على هذا الاختلاف الناشئ عن اختلاف أحوال التفكير ومراتب المدارك والعقول"[1013]، فالاختلاف يتأسس على اختلاف العقول في الفهم والإدراك للحقائق.

ويقول محمد رشيد رضا في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ..﴾(يونس:99-101) "علم الله تعالى رسوله بهذه الآيات أن من سننه في البشر أن تختلف عقولهم و أفكارهم في فهم الدين وتتفاوت أنظارهم في الآيات الدالة عليه فيؤمن بعض ويكفر بعض .."[1014].

ويقول الغزالي في رده على من أنكر تفاوت العقول بين الناس: "قد اختلف الناس في تفاوت العقل، ولا معنى للاشتغال بنقل كلام من قل تحصيله.."[1015]، ويقول أبو سليمان المنطقي: "منازل الناس متفاوتة في

---

1005- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهانى (ت:502ه)، ص:577-578.

1006- العقل وفهم القرآن، الحارث بن أسد المحاسبي(243ه)، تحقيق: حسين القوتلي، دار الفكر، ط/1، (1391ه/1971م)، ص: 201. المستصفى من علم الأصول، أبو حامد الغزالي(505ه)، دراسة وتحقيق: محمد سليمان الأشقر، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط/1، (1417ه/1997م)، 64/1.

1007- البرهان في أصول الفقه، أبو المعالي الجويني(ت: 478ه)، تحقيق: عبد العظيم الديب، دولة قطر، ط/، (1399ه)، 112/1-113. المنخول من تعليقات الأصول، أبو حامد الغزالي(505ه)، تحقيق: الدكتور محمد حسن هيتو، دار الفكر، دمشق، ط/2 (1400ه/1980م)، ص:45.

1008- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهانى(ت:502ه)، ص:577-578.

1009- وكل هذه الألفاظ تعبيرات للعلماء، على هذه القوة المدركة في الإنسان.

1010- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهانى(ت:502ه)، ص:577-578.

1011- التعريفات، الجرجاني (ت: 816ه)، تحقيق: ضبطه وصححه: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط/1، (1403ه/1983م)، ص:14.

1012- تفسير الرازي سورة البقرة:31)

1013- التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، (1984م)، 267/14.

1014- الوحي المحمدي، ثبوت النبوة بالقرآن ودعوة شعوب المدينة إلى الإسلام دين الأخوة الإنسانية والسلام، محمد رشيد رضا، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ط/3، (1406ه)، ص:274.

1015- إحياء علوم الدين، ومعه المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، الغزالي(ت:505ه)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط/1، (1426ه/2005م)، ص:103.

مجلة علمية محكمة © ردمد ISSN: 3009-5611 الإيداع القانوني بملف الصحافة 2024/01م

العقل و أنصباؤهم مختلفة فيه"[1016]، فما يراه شخص أمرا عقليا منطقيا، قد يخالفه غيره في عقلانيته ومنطقيته.

فإن الله تعالى خلق العقل في الإنسان بإرادته التكوينية، يقول الإيجي: "قال الحكماء أول ما خلق الله تعالى العقل"[1017]، وليس هو من فعل الإنسان، أكرمه به ليميز بين الأشياء وأضدادها يقول الشافعي أن الله تعالى:" صوب الاجتهاد ... مما فرض عليهم منه، بالعقول التي ركب فيهم، المميزة بين الأشياء وأضدادها"[1018]

ونقل الزركشي هذا المعنى عن الشافعي وشرح الصيرفي له: "قال الصيرفي في شرحها: بين الشافعي أن العقل معنى ركبه الله في الإنسان أي خلقه فيه لا أنه فعل الإنسان كما زعم بعض الناس"[1019]، فثبت أن العقل جعل إلهي ركبه الله تعالى في الإنسان، فكان "الاختلاف دائم بينهم لأنّه من مقتضى ما جبلت عليه العقول"[1020].

فإننا نجد في الو اقع المحسوس الملموس اختلاف الناس في الإدراك العقلي، فبعضهم أكثر إدراكاً من بعض، يقول ابن عاشور: "العقلاء متفاوتون في إدراك الواضح على قدر القر ائح والعلوم"[1021]، وهذا يدل دلالة واضحة على تفاوت العقول بين الناس، إذ لو كانت متساوية لما وجد ذلك الاختلاف، والدراسات الحديثة توصلت إلى تعدد الذكاءات واختلافها، إلا أن الو اقع البشري أكبر دليل على الاختلاف والتفاوت في العقول بين الجنس البشري، واختلاف العقول أدى بالتالي إلى اختلاف النتائج العلمية.

مع أن العقل البشري يختلف حسب التأثيرات الناتجة عن المحيط والبيئة والجو والعادات والتقاليد .. إلى غير ذلك من التأثيرات الخارجية .. زيادة على أن من هذه التأثيرات ما هو إيجابي نافع، ومنها ما هو سلبي ضار، فتتعدد المذاهب والمناهج والفلسفات والعقلانيات ..

فإن العقول الإنسانية تتفاوت وتختلف في النظر إلى الحقائق بحسب موقع كل إنسان على حدا، فموقع العالم غير موقع الجاهل، وموقع من تعود البرهان غير موقع من تعود الجدل والمناظرة وكلاهما غير من تعود الموعظة ...[1022].

فإذا ثبت تفاوت الخلق في الادراك العقلي للحقائق، وثبت أن ذلك و اقع فيهم بإرادته التكوينية، فإن هذا الاختلاف في العقول موقع في اختلافات كثيرة، هو أصل قوي من أصول الاختلاف في الخطاب القر آني.

هذا العقل، الذي هو "جعل إلهي" وليس من فعل الإنسان كما يؤكد الشافعي والزركشي، هو أساس التمايز في الفهم، إذ "العقلاء متفاوتون في إدراك الواضح على قدر القر ائح والعلوم" كما يقرر ابن عاشور. هذا التفاوت الأصيل في الخلقة، تزيد من حدته عوامل خارجية كالبيئة والنشأة والعادات، مما يؤدي إلى تعدد "العقلانيات" واختلاف النتائج.

---

1016- أخبار العلماء بأخيار الحكماء، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (ت:646هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط/1، (1426هـ/2005م)، ص:71.

1017- كتاب المواقف، عضد الدين الإيجي، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ط/1، (1997م)، 684/2.

1018- الرسالة، الشافعي(150-204هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مكتبة الحلبي، مصر، ط/1، (1358هـ/1940م) بدون طبعة، بدون تاريخ، 24/1.

1019- البحر المحيط في أصول الفقه، بدر الدين الزركشي الشافعي(ت:794هـ)، حرره: عبد القادر عبد الله العاني، راجعه: عمر سليمان الأشقر، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، ط/2، (1413هـ/1992م)، 84/1.

1020- التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، 189/12. في سياق تفسير سورة هود الآيتين: 118-119.

1021- أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، محمد الطاهر ابن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط/2، (1985م)، ص: 21.

1022- أزمة العقل المسلم، عبد الحميد أحمد أبو سليمان، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، سلسلة إسلامية المعرفة(9)، هيرندن، فيرجينيا-الولايات المتحدة الامريكية، ط/1، (1412هـ/1991م)، ص:138.

مجلة علمية محكمة © ردمد ISSN: 3009-5611 الإيداع القانوني بملف الصحافة 2024/01م

بناء على ما سبق، يمكن القول إن مبدأ اختلاف العقول والمدارك في فهم الحقائق هو حجر الزاوية الذي تبنى عليه الكثير من أشكال التنوع الفكري والبشري. هذا الاختلاف ليس عيبا أو نقصا، بل هو جزء أصيل من تصميم الخالق للإنسان، تجلى في آيات القرآن الكريم وتأكيدات العلماء على مر العصور. فالعقل، كونه هبة إلهية، يتفاوت في قدراته الفطرية، وهذه الفروقات تتأثر وتتوسع بفعل العوامل البيئية والثقافية.

نتيجة لهذا التفاوت، تتعدد طرق الناس في إدراك الأمور، وتتنوع مناهجهم في التفكير، وتختلف فلسفاتهم في الحياة. هذا التباين هو الذي يثري النقاش، ويعمق الفهم، ويسهم في تطور المعرفة الإنسانية. فالاختلاف في العقول ليس سببا للنزاع، بل هو دعوة للتكامل والتعلم المتبادل. إنه يُبرز أهمية تقبل وجهات النظر المتعددة والاعتراف بأن الحقيقة قد تتجلى بأوجه مختلفة لكل فرد بناء على إدراكه وموقعه.

رابعا: قواعد الاختلاف في الإدراك العقلي للحقائق الفكرية

انطلاقا من هذا التأسيس، يمكن تحديد أربع قواعد مركزية يطرحها القرآن لتفسير الاختلاف في الإدراك.

1- اختلاف طرق الإقناع العقلي

تتباين عقول الناس وتختلف مداركهم في إدراك الحقائق، تبعًا لاختلاف طرائق التصديق وأساليب الإقناع العقلي التي تلائم مستوياتهم الفكرية وقدراتهم العقلية. وقد راعى القرآن الكريم هذا التفاوت في خطابه للناس، فنوّع أساليب الدعوة بحسب حال المخاطبين واستعداداتهم، كما دلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل: 125)[1023].

تتضمن هذه الآية الكريمة بيانًا لطبيعة الخطاب النبوي، القائم على مراعاة الفروق بين الناس في تلقي الحقائق، من حيث الاستعداد العقلي ومستوى الفهم. فالخطاب النبوي لم يكن نمطيًا أو جامدًا، بل كان مؤسسًا على "الحكمة" لأهل النظر، و"الموعظة" للقلوب الضعيفة أو الغافلة، و"الجدل" لمن يحتاج إلى الإلزام والإفحام.

وقد لخّص الإمام الغزالي هذا التعدد بقوله: "واعلم أن المدعو إلى الله بالحكمة قوم، وبالموعظة قوم، وبالمجادلة قوم"[1024]. وفصّل الإمام الرازي هذه المستويات الثلاثة من الحجاج بقوله: أولها: الحجة القطعية المفيدة للعقائد اليقينية، وذلك هو المسمى بالحكمة، وهذه أشرف الدرجات وأعلى المقامات. وثانيها: الأمارات الظنية والدلائل الإقناعية، وهي الموعظة الحسنة. وثالثها: الدلائل التي يكون المقصود من ذكرها إلزام الخصوم و إفحامهم، وذلك هو الجدل"[1025].

وقد لخّص ابن عرفة هذا التمايز في المدعوين بقوله: "ولاختلاف الناس أمر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن يدعو بالثلاثة: قدر العمل والفهم، فدعا بالحكمة وهم الخواص، ومن دونهم دعاهم بالجدال، والعوام دعاهم بالموعظة، إذ لو دعوا بالحكمة لم يفهموها"[1026].

---

1023- يقول القرطبي في سبب نزول هذه الآية، والقول بنسخها من عدمه: "هذه الآية نزلت بمكة في وقت الأمر بمهادنة قريش، وأمره أن يدعو إلى دين الله وشرعه بتلطف ولين دون مخاشنة وتعنيف، وهكذا ينبغي أن يوعظ المسلمون إلى يوم القيامة. فهي محكمة في جهة العصاة من الموحدين، ومنسوخة بالقتال في حق الكافرين. وقد قيل: إن من أمكنت معه هذه الأحوال من الكفار ورجي إيمانه بها دون قتال فهي فيه محكمة. والله أعلم." الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله القرطبي (ت:671هـ)، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، السعودية، طبعة:(1423هـ/2003م)، 46/6.

1024- القسطاس المستقيم، الغزالي، قدم له وذيله وأعاد تحقيقه: فيكتور شلحت، (ماجستير في الأدب من جامعة القاهرة)، منشورات دار الشروق، بيروت لبنان، ط/2، (1983)، ص:41.

1025- مفاتيح الغيب(التفسير الكبير)، الرازي فخر الدين(ت:604هـ)، دار الفكر، ط/1، (1401هـ/1981م)، 140/20.

1026- تفسير ابن عرفة، أبي عبد الله بن عرفة(ت:803هـ)، تحقيق جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط/1، (2008م). 56/3،

مجلة علمية محكمة © ردمد ISSN: 3009-5611 الإيداع القانوني بملف الصحافة 2024/01م

فطرائق الإقناع متعدّدة، تتفاوت بحسب طبيعة المدعو واستعداده، وقد أشار البقاعي إلى هذا التعدد في سياق تفسير الآية السابقة من سورة النحل، بقوله: "فهو بيان لأصناف الدعوة بحسب عقول المدعوين، لأن الأنبياء عليهم السلام مأمورون بأن يخاطبوا الناس على قدر عقولهم"[1027].

فمن الناس من يملك عقلًا ثاقبًا يتلقى الخطاب البرهاني بسهولة، ومنهم من يحتاج إلى الوعظ والتذكير، ومنهم من لا يقتنع إلا بالجدال الحواري الذي يلزمه بالحجة. فالحكمة للخواص وأصحاب البصائر، والموعظة للعوام وأهل البساطة، والجدل للمجادلين والمخالفين الذين لم تنفع معهم الحكمة ولا الموعظة. فهو أمر بخطاب الناس بما تسعه عقولهم من أجل التصديق والإقناع.

إنّ هذا التنويع في الخطاب يعكس حكمة الدعوة القرآنية، ويشهد على إعجازها في مراعاة الفروق بين الناس في طرائق التفكير وأنماط التصديق. وقد نوّه ابن عاشور إلى هذا البعد بقوله: "ومن الإعجاز العلمي في القرآن أن هذه الآية جمعت أصول الاستدلال العقلي الحقّ، وهي: البرهان، والخطابة، والجدل، المعبّر عنها في علم المنطق بالصناعات، وهي المقبولة من الصناعات"[1028].

وهذا التفاوت بين الناس في إدراك الحقيقة لا يرجع إلى اختلاف الحقيقة ذاتها، وإنما إلى اختلاف وسائل الإقناع والبرهان التي تلائم قدراتهم. وقد عبّر ابن رشد عن هذا المعنى بقوله: "عقول الناس متفاضلة في التصديق، فمنهم من يصدق بالبرهان، ومنهم من يصدق بالأقاويل الجدلية تصديق صاحب البرهان بالبرهان، إذ ليس في طباعه أكثر من ذلك، ومنهم من يصدق بالأقاويل الخطابية كتصديق صاحب البرهان بالأقاويل البرهانية"[1029].

فالدعوة الإسلامية، باعتبارها موجهة إلى جميع الناس، لم تعتمد على طريقة واحدة في البيان، بل جمعت بين هذه الأساليب الثلاثة، لتعمّ الفائدة وتبلغ الحجة جميع العقول. ومن هنا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مبعوثًا إلى الناس كافة، بما فيهم "الأحمر والأسود"، لما في دعوته من شمولية منهجية في الإقناع العقلي والقلبي[1030].

تتباين عقول الناس في فهم الحقائق، ما يستدعي تنويع طرق الإقناع العقلي. وقد راعى القرآن الكريم هذا التفاوت، فنوّع أساليب الدعوة لتشمل: الحكمة لأهل النظر، الموعظة للقلوب، والجدل للإلزام والإفحام.

يعكس هذا الفهم العميق للفروق بين مستويات الفهم البشري أن الإقناع الفعّال لا يكمن في الحقيقة ذاتها فقط، بل في اختيار الوسيلة التي تلائم قدرة المتلقي، ما يؤكد شمولية الدعوة الإسلامية وإعجازها في مخاطبة جميع العقول.

2- اختلاف العلوم والمعارف

يشكّل اختلاف العلوم والمعارف أحد الأسس المركزية في تباين إدراك الناس للحقائق، إذ يتفاوت الأفراد في قدراتهم العقلية تبعًا لما يملكون من علوم وتجارب وخبرات.

---

1027- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، (1415هـ/1995م)، 324/4

1028- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، 331/14.

1029- فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، أبو الوليد بن رشد(1126هـ)، دراسة وتحقيق محمد عمارة، دار المعارف، القاهرة، ط/2، بدون تاريخ، ص:31.

1030- فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، أبو الوليد بن رشد(1126هـ)، ص:31.

مجلة علمية محكمة © ردمد ISSN: 3009-5611 الإيداع القانوني بملف الصحافة 2024/01م

وقد اختلف العلماء في تعريف العلم وحدّه[1031]، وقال الشوكاني بعد ما ذكر هذا الاختلاف: "الأولى عندي أن يقال في تحديده: هو صفة ينكشف بها المطلوب"[1032].

كما اختلفوا في العلم والمعرفة هل هما معنى واحد أو يختلفان[1033]، فذهب بعضهم إلى تساويهما، ومنهم الباقلاني المالكي[1034]، و ابن حزم الظاهري[1035]، و القاضي عبد الجبار المعتزلي[1036].

وذكر أهل التفسير للعلم في القرآن معان متعددة حسب سياقها في القرآن الكريم، ومنها: العلم نفسه، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾(هود:5) ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(القرة:29)، وهذا المعنى للعلم "هو عامة ما في القرآن"[1037].

ومهما يكن من اختلاف في تحديد مفهوم "العلم" و"المعرفة"، والتمييز بينهما، فإن ما يعنينا في هذا البحث هو المعنى العام الوارد لهما في الخطاب القرآني، وهو: إدراك العقل الإنساني لما كان مجهولًا من الحقائق، على اختلاف مجالاتها و أنواعها. وقد عبّر عن هذا المعنى الراغب الأصفهاني بقوله: "إدراك الشيء بحقيقته"[1038]، كما عرّفه الشوكاني بأنه "صفة ينكشف بها المطلوب"[1039].

ويُظهر القرآن هذا التفاوت المعرفي في عدد من المواضع، منها قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، مشيرًا إلى عدم المساواة بين العالم والجاهل، يقول السمعاني الشافعي في تفسير الآية: "بمعنى لا يستوون .. ويقال: الذين يعلمون العلماء، والذين لا يعلمون الجهال"[1040]. فهو "نفى لاستواء الفريقين باعتبار القوة العلمية.."[1041].

كما تتجلى هذه الحقيقة في قصة موسى والخضر، حيث أدى اختلاف نوعية العلم بينهما إلى اختلاف في الأحكام والتصرفات، فكل منهما حكم بما أوتي من علم، أحدهما بظاهر الشريعة، والآخر بعلم لدني خاص[1042]. قال تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا..﴾ إلى قوله تعالى: ﴿.. وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾(الكهف:65-82). في هذه القصة القرآنية دلالة واضحة على أنه قد تختلف الأحكام والقرارات لاختلاف مستوى العلم عند كل طرف.

---

1031- نزهة الاعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، ابن الجوزي(597ه)، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، بيروت، سوريا، ط/3، (1987/1407م)، ص:451.

1032- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، الشوكاني(ت:1250ه)، تحقيق وتعليق: أبي حفص سامي بن العربي الاثري، دار الفضيلة، الرياض، ط/1، (1421ه/2000م)، 63/1.

1033- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني(ت:502ه)، ص: 560. تاج العروس من جواهر القاموس، المرتضى الزَّبيدي (ت: 1205ه)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، 126/33. معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم ص:64.

1034- الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، الباقلاني(403ه)، تحقيق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، المكتبة الازهرية للتراث، ط/2، (1421ه/2000م)، ص:13.

1035- الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم الأندلسي(ت:456ه)، تحقيق: الدكتور محمد ابراهيم نصر، عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، 242/5.

1036- شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار بن أحمد، تحقيق: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، ط/3، (1416ه/1996م)، ص:46.

1037- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، ابن الجوزي(597ه)، ص:451-452.

1038- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني (ت:502ه)، 580/1

1039- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، الشوكاني(ت:1250ه)، 63/1.

1040- تفسير القرآن، أبي المظفر السمعاني(ت:489ه)، تحقيق: أبي بلاب غنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، السعودية، ط/1، (1418ه/1997م)، 192/1. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الشوكاني (ت:1250)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط/1، (1414ه)،520/4

1041- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، القاضي البيضاوي(ت:791ه)، تحقيق: محمد صبحي بن حسن حلاق، ومحمود أحمد الأطرش، دار الرشيد، دمشق، بيروت، مؤسسة الإيمان، بيروت لبنان، ط/1، (1421ه/2000م)، 184/23

1042- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي(ت:546)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط/1، (1422ه/2001م)، 529/3. مفاتيح الغيب، الفخر الرازي(ت:604ه)، 151/21.

مجلة علمية محكمة © ردمد ISSN: 3009-5611 الإيداع القانوني بملف الصحافة 2024/01م

ويؤكد القرآن أن العلم لا يُحصَّل بطريق واحد، بل قد يكون نتاجًا للنظر والتفكر، أو ثمرة للإلهام والاصطفاء الإلهي. كما يدل على أن الله يخص بعض عباده من أوليائه ورسله بعلم لا يُنال إلا بالاصطفاء[1043]، يقول تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾(الجن:26-27)، ويقول سبحانه: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾(مريم:43)، وقوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ﴾(النمل:40). والآيات القرآنية في هذا المعنى كثيرة.

وأشار القرآن الكريم إلى تفاوت منزلة الخلق ودرجاتهم بحسب علمهم، يقول تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (المجادلة:11)، يقول الراغب:" فتنبيه منه تعالى على تفاوت منازل العلوم وتفاوت أربابها"[1044].

ولا يقتصر التفاوت العلمي على المعارف الدينية فحسب، بل يشمل المعارف الدنيوية أيضًا، وهذا ما يؤكده تتبع مادة (ع ل م) في القرآن، كما ذكر القرضاوي، مما يدل على شمولية المعرفة في التصور القرآني: "بهذا التتبع النسبي لكلمة(ع ل م) ومشتقاتها في القرآن، مثبتة ومنفية، تبين مدى شمول العلم وتنوعه في كتاب الله، بحيث يشمل علم الدين وعلم الدنيا، وكل معرفة واعية"[1045].

ويُبرز القرآن أن بعض الحقائق تغيب عن فئة من الناس بينما يدركها آخرون، قال تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾(النحل:43). وقال تعالى في خطابه لرسوله صلى الله عليه وسلم بالإعراض عن من تولى عن دعوته لأن علمهم قاصر: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾(النجم:29-30). وقال تعالى عن المخالف للدعوة الإسلامية عن نقص في الوعي والعلم والإدراك: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾(البقرة:11-16).

وأن الجهل في القضايا العقدية والمعرفية من سمات أكثر الناس، لا أقلهم، وهو ما يدل على حتمية دوام الاختلاف العلمي والمعرفي بين البشر. وقوله تعالى في حق منكري البعث وأنهم لا يعلمون: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾(الجاثية:25-26)، "ولكن أكثر الناس الذين هم أهل تكذيب بالبعث، لا يعلمون حقيقة ذلك، وأن الله محييهم من بعد مماتهم"[1046]. فالقرآن يحكي عنهم أن معارفهم قاصرة على ما يتعلق بالغيب.

وأشار القرآن الكريم إلى حقيقة تدل على حتمية الاختلاف في العلوم والمعارف بين الخلق، وبقاء التفاوت بينهم في ذلك، وهي حقيقة "أكثر الناس لا يعلمون"[1047]، "أكثر الناس يجهلون"[1048]، ومعنى لا يعلمون يقتضي أنهم يجهلون، وإن كان معظم هذه الآيات القرآنية الدالة على هذه الحقيقة يتعلق بقضايا الإلهيات، إلا أن فيها دلالة على الاختلاف في العلم والمعرفة بين الخلق عموما، بل فيها دلالة على بقاء الاختلاف العلمي

1043- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني (ت:502هـ)، ص:581.
1044- نفسه.
1045- العقل والعلم في القرآن الكريم، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط/1، (1416هـ/1996م)، ص:160.
1046- جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري (ت: 310هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط/1، (1420هـ/2000م)، 81/22.
1047- تدبر قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾. ينظر للاستزادة: معجم الأعلام والموضوعات في القرآن الكريم، عبد الصبور مرزوق، ص:1322
1048- تدبر قوله تعالى: ﴿.. مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾(الأنعام:111).

مجلة علمية محكمة © ردمد ISSN: 3009-5611 الإيداع القانوني بملف الصحافة 2024/01م

والمعرفي بين الناس ودوامه، لأن الجهل ليس من الأقلية التي قد يتوهم التغلب على جهلها وتعليمها، بل هو من الأكثرية[1049].

فإن اختلاف في تحصيل العلوم والمعارف وإدراكها، علة اختلاف الناس، يقول ابن الوزير: "أن علة الاختلاف التفاضل في العلم"[1050]، ويقول الزركشي عن الأستاذ أبو إسحاق في تأكيد هذا المعنى: "اختلاف الناس في العقول لكثرة العلوم وقلتها"[1051].

يعد تباين العلوم والمعارف بين الأفراد محركا أساسيا لاختلافهم في إدراك الحقائق، حيث تتفاضل القدرات العقلية بحسب ما يمتلكه كل منهم من مكتسبات معرفية وخبرات. يؤكد القرآن الكريم هذا التفاضل المعرفي، ويعلي من شأن أولي العلم. وفي المقابل، تُظهر النصوص أن القصور المعرفي، لا سيما في القضايا الغيبية والعقدية، يغلب على شريحة واسعة من الناس، ما يُرسخ حتمية واستمرارية التفاوت في مستويات العلم والإدراك بين البشر. بناء عليه، فإن جوهر الاختلاف بين الأفراد يعود إلى التفاضل في العلم، وهو ما ينسجم تماما مع الرؤية القرآنية التي تقر بالتنوع والتفاوت في المعرفة والإدراك البشري.

3- اختلاف مصادر المعرفة:

لا يقتصر الاختلاف بين البشر على حجم المعارف ودرجاتها، بل يتعداه إلى تنوّع مصادرها المعتمدة، وذكر القرآن الكريم مصادر المعرفة، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(النحل:78)، يقول الآلوسي: "والمعنى جعل لكم هذه الأشياء آلات تحصلون بها العلم والمعرفة بأن تحسوا بمشاعركم جزئيات الأشياء وتدركوها بأفئدتكم وتنتبهوا لما بينها من المشاركات والمباينات بتكرير الإحساس فيحصل لكم علوم بديهية تتمكنون بالنظر فيها من تحصيل العلوم الكسبية"[1052].

وقال الزمخشري: "وقوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ﴾ معناه: وما ركب فيكم هذه الأشياء إلا آلات لإزالة الجهل الذي ولدتم عليه، واجتلاب العلم والعمل به"[1053]، وقوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾، "أي: التي تعلمون بها وتدركون"[1054]. "وهذه الوسائل الثلاث قوى وعي تساعد الإنسان على اكتشاف عناصر الحق والميزان ليندفع بعد ذلك بإرادة وعزيمة وتصميم على إقامة الحق ووضع الميزان، والانتصار للحق في تناقضه مع الباطل"[1055].

---

1049- وخصوصا إذا أضفنا لهذا المعنى ما ورد من آيات تنسب للأكثرية أوصافا أخرى، من قبيل: "أكثر الناس لا يعقلون"، "أكثر الناس لا يومنون"، "أكثرهم للحق كارهون"، "أكثرهم مضلون عن سبيل الله"، "أكثرهم مشركون وكافرون"، "أكثر الناس لا يشكرون". ينظر: معجم الأعلام والموضوعات في القرآن الكريم، عبد الصبور مرزوق، ص:1323.

1050- إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد، ابن الوزير(ت:840هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط/2، (1407هـ/1987م)، ص:87.

1051- البحر المحيط في أصول الفقه، الزركشي الشافعي( 794هـ)، حرره: عبد القادر عبد الله العاني، راجعه: عمر سليمان الأشقر، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، ط/2، (1413هـ/1992م)، 84/1. تشنيف المسامع بجمع الجوامع لتاج الدين السبكي، الزركشي الشافعي (ت:794هـ)، دراسة وتحقيق: سيد عبد العزيز، عبد الله ربيع، مكتبة قرطبة للبحث العلمي وإحياء التراث، ط/1، (1418هـ/1998م)، 565/4.

1052- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الآلوسي، 438/7.

1053- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، 580/14.

1054- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 151/10.

1055- الأزمة الفكرية ومناهج التغيير، طه جابر العلواني، ص:15.

مجلة علمية محكمة © ردمد ISSN: 3009-5611 الإيداع القانوني بملف الصحافة 2024/01م

ويفهم من النص القرآني أن مصادر المعرفة هي: السمع(النقل)، والبصر(الحس)، والفؤاد(العقل)، وقد ذهب علماء الإسلام اعتمادا على إشارات الوحي، إلى ثلاث دوائر لمصادر المعرفة، يقول أبو يعلى: "والعلم يدرك من وجوه ثلاثة: الحس والنظر والخبر"[1056].

وقد اختلفت المذاهب الفكرية عبر التاريخ في تحديد المنبع الذي يُستقى منه العلم، مما أدى إلى تباين في الرؤى وتفسيرات للوجود والحقائق.

فمن هذه المذاهب من جعل "الحس" المصدر الوحيد للمعرفة، كما هو الحال عند أنصار المذهب المادي، ولا سيما الماديين الدهريين الذين رأوا في التجربة الحسية السبيل الأوحد لفهم الكون وتفسير الحياة. ويشير محمد عمارة إلى عمق الجذور التاريخية لهذا الاتجاه، فيقول: "فقديمة في الفكر الإغريقي تلك النزعة المادية الدهرية، في رؤية الكون، وتفسير الحياة"[1057].

ومنها من جعل "العقل" وحده مناط المعرفة وكافياً لتحصيلها، وهو ما ذهبت إليه النزعة العقلانية. بل إن بعضهم ذهب إلى الاستغناء عن الوحي اعتماداً على العقل[1058]، بزعم أن العقول عطاء إلهي متجدد يناسب تحولات الزمن، بخلاف الوحي الذي يعتبرونه نصا جامدا لا يواكب الواقع المتغير.

وفي المقابل، ظهرت اتجاهات على النقيض من هذا، أنكرت إمكان الوصول إلى الحقيقة من الأصل، كما هو شأن المدرسة "السفسطائية" التي أنكرت وجود حقائق موضوعية يمكن إدراكها[1059]. وقد تبنّى هذا الموقف بعض أتباع الفرق الباطنية، كالإسماعيلية، الذين رأوا أن النظر العقلي غير كاف لاكتساب المعارف، واشترطوا الرجوع إلى "الإمام المعصوم" باعتباره المصدر الحصري للمعرفة. يقول الشاطبي في الرد على هذه الدعوى: "فإن القول بالمعصوم غير النبي صلى الله عليه وسلم يفتقر إلى دليل، لأنه لم ينص عليه الشارع نصا يقطع العذر"[1060].

ومن الاتجاهات أيضا من جعل "الإلهام" و"الحدس" مصدرا للمعرفة، كما هو حال بعض الطرق الصوفية التي لم تعتمد في بناء معارفها على النظر العقلي، بل على التجربة الروحية والفيض الإلهي. ويصف ابن رشد هذا الاتجاه بقوله: "يزعمون أن المعرفة بالله وبغيره من الموجودات شيء يلقى في النفس عند تجريدها من العوارض الشهوانية و إقبالها بالفكرة على المطلوب"[1061].

يتبيّن من خلال تتبّع مسارات الفكر الإنساني أن اختلاف مصادر المعرفة، وتنوعها: "الحس" و"العقل" و"الوحي" و"الإلهام"، شكل أحد أبرز أسباب التباين المعرفي وتعدد الرؤى الفكرية والعقدية عبر التاريخ. فالخلاف بين المذاهب لا يقتصر على حجم المعارف، بل يتعداه إلى طبيعة المنابع التي تستقى منها. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا التعدد من خلال ثلاثية: "السمع" و"البصر" و"الفؤاد"، وهي مصادر تدل على "النقل"، و"الحس"، و"العقل".

---

1056- المعتمد في أصول الدين، أبو يعلى، تحقيق: وديع زيدان حداد، دار المشرق، بيروت، ط/1، (1986ه)، ص: 278. وينظر كذلك: العقل والعلم في القرآن الكريم، القرضاوي، ص: 149.

1057- الإسلام والتعددية: الاختلاف والتنوع في إطار الوحدة، محمد عمارة، ط/1، (1418ه/1998م)، دار الرشاد، ص:99.

1058- أنظر أصحاب هذا القول، وعلة قولهم هذا، والرد عليهم، في: أعلام النبوة، الماوردي الشافعي(450ه)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط/1، (1406ه/1986م)، ص: 20. والمعتمد في أصول الدين، أبو يعلى الحنبلي، ص:19.

1059- الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم الأندلسي(ت:456ه)، تحقيق: الدكتور محمد ابراهيم نصر، عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، 43/1.

1060- الاعتصام، الشاطبي، ضبطه وصححه: أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط/1، (1408ه/1988م)، 487/2. ينظر أيضا في الرد على دعوى عصمة سيدنا علي في: تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار(415ه)، تحقيق: الدكتور عبد الكريم عثمان، دار العربية، بيروت، لبنان، بدون طبعة، بدون تاريخ، 528/2. والمعتمد في أصول الدين، القاضي أبي يعلى الحنبلي، ص: 246.

1061- الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، ابن رشد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط/1، (1998م)، ص:117.

مجلة علمية محكمة © ردمد ISSN: 3009-5611 الإيداع القانوني بملف الصحافة 2024/01م

وقد أدى تغاير الاعتماد على هذه المصادر إلى نشوء مدارس فكرية متباينة: فمنهم من بالغ في تقديس "الحس"، ومنهم من عظم "العقل" حتى استغنى به عن "الوحي"، ومنهم من أنكر إمكان المعرفة أصلا، أو جعل "الإلهام" طريقا وحيدا لتحصيلها.

وهكذا، فإن التعدد في مصادر المعرفة ليس مجرد تنوع، بل هو تجل لبنية معرفية مركبة، ينبغي فهمها لاستيعاب أسباب الخلافات الفكرية، والتعامل معها ضمن أفق حواري عقلاني ومنهجي.

4- الاعوجاج في الاستدلال العقلي

يعد الاعوجاج في الاستدلال العقلي من القواعد الراسخة التي تؤسس للاختلاف الإنساني، إذ إن اتباع مناهج غير صحيحة في الاستدلال، يحول دون بلوغ العقل إلى الحقائق اليقينية والصحيحة. وقد تناول الخطاب القرآني هذه الظاهرة في سياقات متعددة، حيث نهى عن "الاستدلال بالظن"، ونهى عن "الاستدلال بالهوى"، ونهى كذلك عن "الاستدلال بالتقليد"، مسلطا بذلك الضوء على أهمية منهج الاستدلال السليم في تحصيل المعرفة والحق.

أ- الاستدلال بالظن في محل اليقين

يرفض الخطاب القرآني الاعوجاج في الاستدلال المبني على "الظن"، أي الاعتماد على "العلم المخطئ أو الجهل المركب والتخيلات الباطلة"[1062]، خاصة في المسائل التي تتطلب يقينا[1063] لا شكا وظنا، وهي الحقائق العقلية الضرورية. يقول تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾(يونس: 36)، وفي هذا المعنى، يوضح ابن عاشور أن "العلم المشوب بالشك لا يغني في إثبات الحق المطلوب، الذي يقتضي الجزم واليقين، لا الظن؛ إذ إن العلوم التي تُحصل بالدليل العقلي ممكن أن تحقق الجزم لمن أعمل رأيه إعمالا صائبا، لأن الأدلة العقلية تستلزم اليقين"[1064].

وينبه القرآن الكريم نبيه إلى أن الاعتماد على "الظن" أدى إلى ضلال أكثر الناس من الكفار والجهال و أتباع الأهواء[1065]، بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾(الأنعام: 116). وهنا ينفي الحق سبحانه القطعية عن المخالفين في نزاعهم، وينسب إليهم الاعوجاج في الاستدلال بالتباع "الظن" و"الخرص" الذي لا يفضي إلى نتائج علمية صحيحة، مما يوسع دائرة الاختلاف بينهم. ويقول الرازي في هؤلاء: "غير قاطعين بصحة مذاهبهم، بل لا يتبعون إلا الظن، وهم خراصون كذابون في ادعاء القطع"[1066].

وقد أكد القرآن الكريم في آيات متعددة[1067] على هذه القاعدة التي تُعدّ من أُسس اختلاف الناس في إدراك الحقائق العقلية اليقينية، إذ يحث الخطاب القرآني العقول على اجتناب الظن في القضايا التي تتطلب يقينا لا ظنا. ولعلّ أكثر استعمالات الظن في القرآن الكريم تأتي في هذا السياق[1068]، مؤشرةً إلى أن هذا المسلك يعد اعوجاجا في الاستدلال، يفضي إلى الاختلاف والافتراق.

---

1062- التحرير والتنوير، ابن عاشور، 166/11.

1063- "اليَقِينُ: علم يحصل بعد استدلال وروية". معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم ص:64.

1064- التحرير والتنوير، الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، 166/11.

1065- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، القاضي البيضاوي(ت:791هـ)، 514/8.

1066- مفاتيح الغيب(التفسير الكبير)، الرازي فخر الدين(ت:604هـ)، 171/13. جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري (ت:310هـ)، 65/12.

1067- تدبر قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾(النجم:28)، وقوله سبحانه: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾(الأنعام:148) ...

1068- التحرير والتنوير، ابن عاشور، 166/11.

مجلة علمية محكمة © ردمد ISSN: 3009-5611 الإيداع القانوني بملف الصحافة 2024/01م

إن الرفض القرآني القاطع للاستدلال بالظن في محل اليقين، ينبع من حرص الخطاب القرآني على تنقية العقل من الأحكام المبنية على الظنون والتخمينات التي تضربه، وتفصله عن الحقيقة، وتحول دون بلوغه العلم اليقيني والحق الثابت. فالقرآن يعتبر الاستدلال بالظن انحرافا منهجيا ومعرفيا جوهريا، يسهم في تعميق الاختلافات الفكرية و افتراق الناس، إذ إن الاعتماد على الظنون في مسائل تتطلب اليقين، يجعل العقل يتهاوى عن الوصول إلى المعرفة الصحيحة. ومن ثم، فإن رفض هذا النوع من الاستدلال ليس سوى وسيلة منهجية لحماية العقل وتنقيته من الأخطاء المعرفية، بما يتيح له التماس الحقائق اليقينية وتثبيت مباني الفكر على أسس علمية رصينة.

يرفض الخطاب القرآني بشدة الاستدلال بالظن في المسائل التي تتطلب يقينا، خاصة الحقائق العقلية الضرورية. يعتبر القرآن أن الاعتماد على الظن يضل أكثر الناس، ويعد انحرافا منهجيا يعمق الاختلافات الفكرية والعقدية، ويمنع العقل من بلوغ المعرفة اليقينية والحق الثابت. هذا الرفض هو حماية للعقل وتأسيس للفكر على أسس علمية رصينة.

ب- الاستدلال بالأهواء والشهوات في محل العلم

يمثل "الهوى"، وهو ميل النفس إلى شهواتها مخالفة لداعي الشرع[1069]، أحد أبرز مصادر الانحراف المعرفي في عملية الاستدلال العلمي. وهذا الميل خلق مع الانسان، يقول ابن الجوزي في سياق تعريفه، هو: "ميل الطبع إلى ما يلائمه، وهذا الميل خلق في الإنسان لضرورة بقائه"[1070].

ويؤكد الراغب الأصفهاني على عظمة ذمّ اتباع الهوى في القرآن الكريم[1071]، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾(ص:26)، وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾(النساء:135).

وقال تعالى ينفي اتباع الهوى عن رسوله: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾(النجم:3)، مؤكداً أن اجتناب الهوى في محل العلم أمر ضروري، إذ كما يقول ابن الجوزي، في تأثير الهوى على العقل: "ولا ينبغي أن يدال الهوى عليه فإنه عدوه، فيحطه عن رتبته ويستنزله عن درجته"[1072]، ويقول في تقرير معنى اجتناب الهوى في محل العلم لأنه ضده: "وقد يكون الهوى في العلم فيخرج بصاحبه إلى ضد ما يأمر به العلم"[1073].

و اتباع "الهوى" من أكبر الأسباب في رد الحق والتكبر عليه، والإقامة على الباطل والتشبث به كما قال سبحانه: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾(الجاثية:23)، فالواجب على الإنسان اجتناب "الهوى" في محل العلم، لأن الحقائق العلمية لا تقبل العواطف والأهواء والشهوات، يقول القرضاوي: "فالعقلية العلمية هي التي تنحي الأهواء والانفعالات والعواطف جانبا، وتنظر إلى الأمر نظرة موضوعية محايدة"[1074].

فإن أهواء الناس مختلفة وليست على نمط واحد، لذلك قال الحق سبحانه: ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾(المومنون:71)، لأن الأهواء مختلفة، و اتباع الأهواء المختلفة يؤدي

1069- التعريفات، الجرجاني (ت: 816هـ)، ص:257.
1070- ذم الهوى، ابن الجوزي(597هـ)، تحقيق: خالد عبد اللطيف السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط/1، (1418هـ/1998م)، ص:35.
1071- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني (ت:502هـ)، ص: 849.
1072- ذم الهوى، ابن الجوزي(597هـ)، ص:34.
1073- نفسه، ص:38.
1074- العقل والعلم في القرآن الكريم، يوسف القرضاوي، ص:253.

مجلة علمية محكمة © ردمد ISSN: 3009-5611 الإيداع القانوني بملف الصحافة 2024/01م

إلى اختلاف العقول الإنسانية في الحقائق العلمية[1075]، فتكثر الخلافات والنزاعات الإنسانية. يقول الراغب الأصفهاني: "فإنما قاله بلفظ الجمع تنبيها على أن لكل واحد هوى غير هوى الآخر، ثم هوى كل واحد لا يتناهى، فإذا اتباع أهوائهم نهاية الضلال والحيرة"[1076].

وينتج عن سيطرة "الهوى" في العقل حجب الحق، والاقتتال بين الناس رغم وضوح الدلائل، كما يقول تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾(البقرة:253)، وهو ما يفسره أبو زهرة بأن هذا الاقتتال "ليس عن جهالة، بل هو بعد أن تبين الحق ووضحت معالمه، لأن الهوى يعمي، والأعمى لا يبصر ولو كانت الشمس مشرقة"[1077]. فمجيئ البينات يقتضي الوفاق لا الاختلاف، لكن آفة "الهوى" مزلق مؤثر في إثارة الاختلاف والبلوغ به إلى الاقتتال.

فإن "منازعة الهوى للعقل"[1078]، وسيطرة الأهواء وحظوظ النفس على العقل الإنساني واسترقاقه، مما يفضي إلى عدوان الناس بعضهم على بعض، فيقع النزاع والاختلاف والصراع المفضي إلى الفناء، يقول الشيخ رشيد رضا: ".. وهذه الحظوظ والأهواء ليس لها حد يقف الإنسان عنده، وما هو بعائش وحده، وكثيرا ما تتطاول به إلى ما في يد غيره، فهي لهذا تقتضي أن يعدو بعض أفراده على بعض، فيتنازعون ويتدافعون، ويتجادلون ويتجالدون، ويتوثبون ويتناهبون حتى يفني بعضهم بعضا"[1079].

فإن التعامل العلمي مع الأدلة يتطلب التخلص من الأهواء، لتمكين العقل من إدراك الحقائق، يقول الشاطبي: "وإذا دخل الهوى أدى إلى اتباع المتشابه حرصا على الغلبة والظهور بإقامة العذر في الخلاف، وأدى إلى الفرقة والتقاطع والعداوة والبغضاء، لاختلاف الأهواء وعدم اتفاقها، و إنما جاء الشرع بحسم مادة الهوى بإطلاق، وإذا صار الهوى بعض مقدمات الدليل لم ينتج إلا ما فيه اتباع الهوى.."[1080].

ويذكر الشاطبي في "الاعتصام" عن أبي العالية: ".. و إياكم وهذه الأهواء التي تلقي بين الناس العداوة والبغضاء"[1081]، "والإسلام لم يقطع الشهوات والأهواء، ولكن أرادها قائمة على أن تكون خاضعة للعقل، وما يوجبه ضبط النفس"[1082].

ومن هنا حذر النبي صلى الله عليه وسلم من اتباعه، فقال: « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لَمَّا جِئْتُ بِهِ»[1083]، مؤكداً أن الشهوات والأهواء يجب أن تخضع للعقل وقواعد ضبط النفس.

---

1075- فبين النبي صلى الله عليه وسلم المنهج الضابط للأهواء المختلفة: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ». السنة، أبو بكر بن أبي عاصم الشيباني (ت: 287هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط/1، (1400هـ)، باب: ما يجب أن يكون هوى المرء تبعا لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، 12/1.

1076- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني (ت:502هـ)، ص: 849.

1077- زهرة التفاسير، أبو زهرة (ت:1394هـ)، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون طبعة، بدون تاريخ، ص:924-925.

1078- عنون الراغب الاصفهاني بهاذه العبارة لفصل من فصول كتابه، كتاب الذريعة إلى مكارم الشريعة، الراغب الأصفهاني(502هـ)، تحقيق: أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار السلام، القاهرة، ط/1، (1428هـ/2007م)، ص:89.

1079- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد رضا(ت: 1354هـ)، 52/1.

1080- الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي(ت: 790هـ)، شرحه وخرج أحاديثه: عبد الله دراز، وضع تراجمه: محمد عبد الله دراز، خرج آياته وفهرس موضوعاته: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط/1، (1411هـ/1991م)، 161/4. وقد حذر الشارع من الهوى ومن نتائجه التي تؤول إلى الاختلاف والنزاع، لذلك أمر بالاحتكام إلى الشرع وضبط الأهواء بضوابط الشرع، يقول الشاطبي:" المقصد الشرعي من وضع الشريعة إخراج المكلف عن داعية هواه، حتى يكون عبدا لله اختيارا، كما هو عبد لله اضطرارا" نفسه: 128/2. ويقول: "قصد الشارع من وضع الشرائع إخراج النفوس عن أهوائها وعوائدها". نفسه: 251/1. ويقول: "وضع الشريعة على أن تكون أهواء النفوس تابعة لمقصود الشارع فيها". نفسه:252/1.

1081- الاعتصام، الشاطبي، 64/1.

1082- المجتمع الإنساني في ظل الإسلام، ص:80.

1083 - رواه النووي في كتاب: "الأربعين النووية"، وقال: حديث حسن صحيح، وقال ابن رجب: "وتصحيح هذا الحديث بعيد جدا من وجوه ...". ينظر: جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، ابن رجب الحنبلي البغدادي، بإشراف: محمد بنيس، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (1421هـ/2000م)، ص: 396.

مجلة علمية محكمة © ردمد ISSN: 3009-5611 الإيداع القانوني بملف الصحافة 2024/01م

فإن الأهواء والشهوات، قد تتمكن في النفس، وتسيطر على العقل، وتوجهه نحو إصدار الاحكام المخالفة للو اقع، يقول محمد عبده في تصوير هذه الحقيقة: "فإذا عرض عليهم شيء من الكلام في النبوات والأديان، وهم من أنفسهم هام بالإصغاء دافعوه بما أوتوا من الِاخْتِيَار في النظر و انصرفوا عنه وجعلوا أصابعهم في آذانهم حذرأن يخالط الدليل أذهانهم فيلزمهم العقيدة وتتبعها الشريعة، فيحرموا لذّة ما ذاقوا وما يحبون أن يتذوقوا وهو مرض في الأنفس والقلوب"[1084].

يمثل الهوى، أي ميل النفس نحو الشهوات والرغبات المخالفة للمنطق والعقل، أحد أهم مصادر الانحراف في الاستدلال العلمي والمعرفي. فالهوى، رغم كونه غريزة فطرية، قد يؤدي إلى تحييد العقل عن مساره الصحيح، فيحول دون إدراك الحقائق العلمية ويعيق الوصول إلى المعرفة الموضوعية.

وينتج عن سيطرة الأهواء على العقل اختلافات واسعة في التفسيرات والرؤى، مما يؤدي إلى الخلافات والنزاعات بين الأفراد حتى في وجود أدلة واضحة. وقد أكد علماء الفكر الإسلامي -تبعا لتقرير القرآن الكريم- أن العقلية العلمية السليمة تستوجب تحييد الأهواء والانفعالات، والالتزام بالنظر الموضوعي المحايد في التعامل مع الأدلة.

لذلك، يصبح ضبط النفس والسيطرة على الشهوات، ضروريين لتمكين العقل من أداء دوره في إدراك الحقائق، وتجنب التحيزات التي تضعف الاستدلال، وتفضي إلى التشبث بالباطل والافتراق بين الناس.

ج- الاستدلال بالتقليد دون تعقل:

يعد التقليد، بمعناه الاصطلاحي، اتباع الإنسان لغيره دون نظر أو تدبّر في الدليل، أي أن يعتمد المرء على آراء أو ممارسات الغير من غير حجة ولا برهان عقلي[1085]. وهذا النوع من الاتباع السلبي يعدّ انحر افا في منهج الاستدلال، إذ يُقصي العقل عن وظيفته في التمحيص والنقد، ويُفضي إلى جمود فكري يعطل إمكانات الإنسان في الوصول إلى الحقائق العلمية والمعرفية.

وقد جاء الخطاب القر آني لينبّه إلى خطورة هذا المنهج، مبيّنا ما فيه من اعوجاج منهجي ومعرفي، حين يعتمد الإنسان على التقليد دون تعقّل. ومن أبرز الآيات التي تندد بهذا المسلك، قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾(البقرة: 170). وقد عقّب الإمام الشوكاني على هذه الآية بقوله: "وفي هذه الآية من الذم للمقلدين والنداء بجهلهم الفاحش واعتقادهم الفاسد ما لا يقادر قدره"[1086].

ويمضي القرآن الكريم في استعراض هذا النمط من التفكير المقلّد في مواضع أخرى، منها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا، أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾(المائدة:104).

وقوله أيضًا: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا، قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ، أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾(الأعراف: 28). وقد أشار المفسرون إلى أن هذه الآيات تمثل دلالة واضحة على قبح التقليد ووجوب التحرر منه[1087].

إن للتقليد تأثيرا مباشرا في تعقيد ثقافة الاختلاف وإضعاف الحوار العقلي، حيث يتشبث الأفراد بالأفكار الموروثة ويحيطونها بهالة من القداسة، بغض النظر عن مدى تو افقها مع الحق أو الو اقع، مما

1084- رسالة التوحيد، محمد عبده، تعليق: محمد عمارة، دار الشروق، ط/1، (1414هـ/1994م)، ص:103.
1085- التعريفات، الجرجاني(ت: 816هـ)، ص:64.
1086- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الشوكاني (ت:1250)، 193/1.
1087- نفسه.

مجلة علمية محكمة © ردمد ISSN: 3009-5611 الإيداع القانوني بملف الصحافة 2024/01م

يؤدي إلى تعصب للرأي وميل إلى الخصام والنزاع. لو تجنّب الناس قيود التقليد وفتحوا المجال أمام الاستدلال العقلي السليم، "للاح لهم وضح الحق البين، وأشد ما يكون الاختلاف بسبب التقليد في المسائل الاجتماعية"[1088].

وإذا نظرنا إلى وظيفة الخطاب القرآني، نجد أنه يوجّه الإنسان إلى تحرير عقله من التبعية غير الواعية، وإلى عدم اعتماد التقليد دليلا في مسار المعرفة، لأن التقليد، في جوهره، يعطل وظيفة العقل في التأمل والتدبر. وفي هذا السياق يقول ابن جزي: "التقليد إبطال منفعة العقل، لأنه إنما خُلق للتأمل والتدبر، وقبيح بمن أعطي شمعة يستضيء بها أن يطفئها ويمشي في الظلمة"[1089].

فالتقليد يؤدي إلى تنميط الأفكاروتكرارالأنماط الذهنية والسلوكية، مما يفضي إلى العجزعن الإبداع والإسهام في التجديد المعرفي. بل إنه يُقصي الرأي الآخرويُصادرحق الاختلاف، لأن منظومة التقليد لا تحتمل التعددية، ولا تقبل الآراء الخارجة عن الموروث. ولذلك ركزالقرآن الكريم على نموذج "تقليد الآباء"، باعتباره صورة متكررة لانحراف المنهج الاستدلالي، وهو ما يؤدي إلى تبني معتقدات ومفاهيم بعيدة عن التحقيق العقلي والمنطقي.

وبناء عليه، فإن الهدف الأساس للخطاب القرآني في هذا السياق هو فصل العلاقة بين العقل والتبعية، وتربية الإنسان على نقد المسلّمات، وعدم قبولها إلا بعد الفحص والتأمل. فالعقل في الرؤية القرآنية أداة تمييز وتحرر، لا ينبغي تقييده بمقولات لم يختبر صدقها. وفي هذا السياق، يعاد التأكيد على قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ، قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا، أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾(البقرة: 170). القرآن يدعو أتباع الأديان إلى استعمال العقل والضمير في طلب الحق، محذّرا من الاكتفاء بتقليد الآباء، لما في ذلك من إهدارللفطرة والعقل، وقد تميزالإسلام بهذا المنهج، فقبله العقلاء من مختلف الأمم.

يعد "التقليد" دون تعقل انحرافا في منهج الاستدلال، إذ يعطل وظيفة العقل في الفهم والتحقيق، ويؤدي إلى جمود فكري يعيق الإبداع ويكرس النزعة إلى التعصب والانغلاق. يحذرالخطاب القرآني من هذا النمط، ويربطه بإشكالات معرفية واجتماعية تؤثر سلبا على ثقافة الحوار وتقبّل الاختلاف، داعيا إلى استبداله بمنهج نقدي قائم على التأمل والتمييزالعقلي، بما يضمن تحررالفكرمن التبعية واستقلالية الرأي.

الاعوجاج في الاستدلال العقلي، بمناهجه غير الصحيحة، يشكل أساسا عميقا للاختلاف البشري ويحول دون الوصول إلى الحقائق اليقينية. يؤكد القرآن الكريم رفضه القاطع للاستدلال القائم على "الظن"، و"الهوى"، و"التقليد". فهذه المسالك تضلّ العقل، تعمّق التباين الفكري، وتمنعه من إدراك اليقين والحق الثابت. هذا الموقف القرآني هو بمثابة حماية للعقل، يهدف إلى ترسيخ الفكر على أسس منهجية علمية رصينة، متحررة من التخمينات غير المؤسسة، الأهواء الشخصية، والتبعية الفكرية غير الواعية.

الخاتمة:

لقد سعت هذه الدراسة إلى استكشاف ظاهرة اختلاف العقول والمدارك في إدراك الحقائق الفكرية من منظورقرآني، مبينة أن هذا التباين ليس مجرد تفاوت عارض، بل هو حقيقة كونية مؤصّلة في الخطاب القرآني كجزء من الحكمة الإلهية في خلق الإنسان. وقد أظهر البحث أن القرآن الكريم -والفكر الاسلامي-

1088- تاريخ الجدل، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، ط/2، (1980م)، ص:10.

1089- كتاب تلبيس إبليس(من أول الكتاب إلى منتصفه) رسالة دكتوراه، ابن الجوزي(ت:597هـ)، دراسة وتحقيق: أحمد بن عثمان المزيد، إشراف: الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك، دار الوطن، الرياض، السعودية، ط/1، (1423هـ/2002م)، ص:482.

مجلة علمية محكمة © ردمد ISSN: 3009-5611 الإيداع القانوني بملف الصحافة 2024/01م

يقدم إطارا تفسيريا شاملا لهذه الظاهرة، مما يعكس شمولية رؤيته في التعامل مع التنوع البشري في الفهم والإدراك.

تؤكد هذه الدراسة على أهمية فهم التنوع الإدراكي كميزة إنسانية وليست نقصا، وتدعو إلى استثمار هذا التنوع في إثراء الفكر والمعرفة بدلا من جعله مصدرا للنزاع والفرقة. فالمنهج القرآني يرشدنا إلى التعامل مع الاختلاف بعقلانية وحكمة، مستفيدين من تباين المدارك للوصول إلى فهم أعمق للحقائق الفكرية والعقدية، والتعايش الإنساني القائم على الاحترام المتبادل.

نتائج الدراسة

توصلت الدراسة إلى عدة نتائج رئيسية، أبرزها:

- التأصيل القرآني لاختلاف العقول: أكد البحث أن القرآن الكريم لم يفرض نمطا إدراكيا واحدا على البشر، بل أقر بمبدأ اختلاف المدارك العقلية، معتبرا إياه إرادة إلهية وحكمة كامنة في طبيعة الخلق. هذا الاختلاف يثري الوجود الإنساني ويوسع آفاق المعرفة.

- العقل كمناط للتكليف: تبين أن مفهوم العقل في السياق القرآني يشير إلى القوة الإدراكية التي ميز الله بها الإنسان، وجعلها أساسا للتكليف والتمييز بين الحق والباطل، وأن وظائفه تتنوع بين الفهم والتدبر والاستدلال.

- تعدد طرق الإقناع: أوضحت الدراسة أن القرآن الكريم راعى تباين العقول في استجابتها لطرائق الحجاج، فنّوع في أساليب الدعوة بين "الحكمة" لأهل النظر، و"الموعظة" الحسنة للقلوب الغافلة، و"الجدال" بالتي هي أحسن لمن يحتاج إلى الإلزام والإفحام. هذا التنوع يعكس إعجازا منهجيا في التعامل مع الفروق الفردية.

- تنوع العلوم والمعارف: بينت الدراسة أن اختلاف العلوم والمعارف، سواء الدينية أو الدنيوية، يشكل أساسا جوهريا لتباين إدراك الحقائق.

- تنوع مصادر المعرفة وتعددها: هذه المصادر المتعددة: "السمع"، و"البصر"، و"الفؤاد"، تؤدي إلى نشوء مدارس فكرية وعقدية متباينة.

- الاعوجاج في الاستدلال كمصدر للاختلاف: كشفت الدراسة أن الاعوجاج في الاستدلال العقلي، المتمثل في الاعتماد على "الظن في محل اليقين"، و"اتباع الهوى والشهوات"، و"التقليد الأعمى دون تعقل"، يعد من القواعد الراسخة التي تؤسس للاختلاف الإنساني، وتؤدي إلى انحرافات منهجية ومعرفية، وتأصيل النزاعات والخلافات بين الناس.

- حتمية استمرار الاختلاف الفكري والعقدي: أثبت البحث أن الاختلاف الفكري والعقدي هو أمر لازم بحكم التفاوت العقلي والتباين في المدارك والخبرات والعلوم، وأن حقيقة "أكثر الناس لا يعلمون"، تدل على بقاء الاختلاف الفكري والعقدي ودوامه، مما يستدعي فهما عميقا للتعامل معه.

- ضرورة تحرير العقل من التبعية: أكدت الدراسة أن الخطاب القرآني يدعو إلى تحرير العقل من قيود التبعية والتقليد غير الواعي، ويدعو إلى تبني منهج نقدي قائم على التأمل والتدبر، مما يضمن استقلالية الرأي ويحفز على الإبداع والتجديد المعرفي.

- أهمية ثقافة الحوار الفكري والعقدي: بيّنت الدراسة أن فهم أصول هذا الاختلاف يساهم في تعزيز ثقافة الحوار والتفاهم بين أصحاب الرؤى الفكرية المختلفة، ويحد من التعصب والنزاع، مما يدعم التعايش السلمي القائم على احترام التنوع.

مجلة علمية محكمة © ردمد ISSN: 3009-5611 الإيداع القانوني بملف الصحافة 2024/01م

تؤكد هذه النتائج أن الاختلاف في إدراك الحقائق الفكرية والعقدية، هو ظاهرة طبيعية ومتجذرة في الطبيعة البشرية، وأن الرؤية القرآنية -والفكر الإسلامي- تقدم منهجا متكاملا لفهم هذا التباين والتعامل معه بحكمة، بما يضمن استمرار الحوار الفكري البناء وتجنب أسباب النزاع.

المصادر المراجع:


1. إحياء علوم الدين، ومعه المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، الغزالي(ت:505ه)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط/1، (1426ه/2005م).
2. أخبار العلماء بأخيار الحكماء، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (ت:646ه)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط/1، (1426ه/2005م).
3. إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، الشوكاني(ت:1250ه)، تحقيق وتعليق: أبي حفص سامي بن العربي الاثري، دار الفضيلة، الرياض، ط/1، (1421ه/2000م).
4. أزمة العقل المسلم، عبد الحميد أحمد أبو سليمان، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، سلسلة إسلامية المعرفة(9)، هيرندن، فيرجينيا-الولايات المتحدة الامريكية، ط/1، (1412ه/1991م).
5. الإسلام والتعددية: الاختلاف والتنوع في إطار الوحدة، محمد عمارة، دار الرشاد، ط/1، (1418ه/1998م).
6. أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، ابن عاشور، الشركة التونسية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط/2، (1985م).
7. الاعتصام، الشاطبي، ضبطه وصححه: أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط/1، (1408ه/1988م).
8. أعلام النبوة، الماوردي الشافعي(450ه)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط/1، (1406ه/1986م).
9. الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، الباقلاني(403ه)، تحقيق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، المكتبة الازهرية للتراث، ط/2، (1421ه/2000م).
10. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، القاضي البيضاوي(ت:791ه)، تحقيق: محمد صبحي بن حسن حلاق، ومحمود أحمد الأطرش، دار الرشيد، دمشق، بيروت، مؤسسة الإيمان، بيروت لبنان، ط/1، (1421ه/2000م).
11. إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد، ابن الوزير(ت:840ه)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط/2، (1407ه/1987م).
12. البحر المحيط في أصول الفقه، الزركشي الشافعي( 794ه)، حرره: عبد القادر عبد الله العاني، راجعه: عمر سليمان الأشقر، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، ط/2، (1413ه/1992م).
13. البحر المحيط في أصول الفقه، بدر الدين الزركشي الشافعي(ت:794ه)، حرره: عبد القادر عبد الله العاني، راجعه: عمر سليمان الأشقر، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، ط/2، (1413ه/1992م).
14. البرهان في أصول الفقه، أبو المعالي الجويني(ت: 478ه)، تحقيق: عبد العظيم الديب، دولة قطر، ط/، (1399ه)، 1/112-113.
15. تاج العروس من جواهر القاموس، المرتضى الزَّبيدي (ت: 1205ه)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

مجلة علمية محكمة © ردمد ISSN: 3009-5611 الإيداع القانوني بملف الصحافة 2024/01م

16. تاريخ الجدل، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، ط/2، (1980م).

17. تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار(415هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الكريم عثمان، دار العربية، بيروت، لبنان، بدون طبعة، بدون تاريخ.

18. التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، (1984م)، 267/14.

19. تشنيف المسامع بجمع الجوامع لتاج الدين السبكي، الزركشي الشافعي (ت:794هـ)، دراسة وتحقيق: سيد عبد العزيز، عبد الله ربيع، مكتبة قرطبة للبحث العلمي وإحياء التراث، ط/1، (1418هـ/1998م).

20. التعريفات، الجرجاني (ت: 816هـ)، تحقيق: ضبطه وصححه: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط/1، (1403هـ/1983م).

21. تفسير ابن عرفة، أبي عبد الله بن عرفة(ت:803هـ)، تحقيق جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط/1، (2008م).

22. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد رضا(ت: 1354هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (1990م).

23. تفسير القرآن، أبي المظفر السمعاني(ت:489هـ)، تحقيق: أبي بلاب غنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، السعودية، ط/1، (1418هـ/1997م).

24. جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري (ت: 310هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط/1، (1420هـ/2000م).

25. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، ابن رجب الحنبلي البغدادي، بإشراف: محمد بنيس، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (1421هـ/2000م).

26. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله القرطبي (ت:671هـ)، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، السعودية، طبعة:(1423هـ/2003م).

27. ذم الهوى، ابن الجوزي(597هـ)، تحقيق: خالد عبد اللطيف السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط/1، (1418هـ/1998م).

28. رسالة التوحيد، محمد عبده، تعليق: محمد عمارة، دار الشروق، ط/1، (1414هـ/1994م)، ص:103.

29. الرسالة، الشافعي(150-204هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مكتبة الحلبي، مصر، ط/1، (1358هـ/1940م) بدون طبعة، بدون تاريخ.

30. زهرة التفاسير، أبو زهرة (ت:1394هـ)، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون طبعة، بدون تاريخ.

31. السنة، أبو بكر بن أبي عاصم الشيباني (ت: 287هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط/1، (1400هـ).

32. شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار بن أحمد، تحقيق: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، ط/3، (1416هـ/1996م).

33. العقل والعلم في القرآن الكريم، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط/1(1416هـ/1996م).

34. العقل وفهم القرآن، الحارث بن أسد المحاسبي(243هـ)، تحقيق: حسين القوتلي، دار الفكر، ط/1، (1391هـ/1971م).

مجلة علمية محكمة © ردمد ISSN: 3009-5611 الإيداع القانوني بملف الصحافة 2024/01م

35. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الشوكاني (ت:1250)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط/1، (1414ه).

36. فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، أبو الوليد بن رشد(1126ه)، دراسة وتحقيق محمد عمارة، دار المعارف، القاهرة، ط/2، بدون تاريخ.

37. الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم الأندلسي(ت:456ه)، تحقيق: الدكتور محمد ابراهيم نصر، عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت.

38. القسطاس المستقيم، الغزالي، قدم له وذيله وأعاد تحقيقه: فيكتور شلحت، (ماجستير في الأدب من جامعة القاهرة)، منشورات دار الشروق، بيروت لبنان، ط/2، (1983).

39. كتاب الذريعة إلى مكارم الشريعة، الراغب الأصفهاني(502ه)، تحقيق: أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار السلام، القاهرة، ط/1، (1428ه/2007م).

40. كتاب المواقف، عضد الدين الإيجي، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ط/1، (1997م).

41. كتاب تلبيس إبليس(من أول الكتاب إلى منتصفه) رسالة دكتوراه، ابن الجوزي(ت:597ه)، دراسة وتحقيق: أحمد بن عثمان المزيد، إشراف: الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك، دار الوطن، الرياض، السعودية، ط/1، (1423ه/2002م).

42. الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، ابن رشد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط/1، (1998م).

43. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي(ت:546)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط/1، (1422ه/2001م).

44. مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله الرازي(ت:666ه)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، ط/5، (1420ه/1999م).

45. المستصفى من علم الأصول، أبو حامد الغزالي(505ه)، دراسة وتحقيق: محمد سليمان الأشقر، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط/1، (1417ه/1997م)، 64/1.

46. المعتمد في أصول الدين، القاضي أبي يعلى الحنبلي، تحقيق: وديع زيدان حداد، دار المشرق، بيروت، ط/1، (1986ه).

47. معجم الأعلام والموضوعات في القرآن الكريم، عبد الصبور مرزوق، ص:1323.

48. المعجم المفهرس لمعاني القرآن العظيم، محمد بسام رشدي الزين، دار الفكر، دمشق، سورية، دار الفكر المعصر، بيروت، لبنان، ط/1، (1416ه/1995م).

49. مفاتيح الغيب(التفسير الكبير)، الرازي فخر الدين(ت:604ه)، دار الفكر، ط/1، (1401ه/1981م).

50. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني (ت:502ه)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ط/1، ( 1412ه).

51. المنخول من تعليقات الأصول، أبو حامد الغزالي(505ه)، تحقيق: الدكتور محمد حسن هيتو، دار الفكر، دمشق، ط/2 (1400ه/1980م).

مجلة علمية محكمة © ردمد ISSN: 3009-5611 الإيداع القانوني بملف الصحافة 2024/01م

52. الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي(ت: 790ه)، شرحه وخرج أحاديثه: عبد الله دراز، وضع تراجمه: محمد عبد الله دراز، خرج آياته وفهرس موضوعاته: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط/1، (1411ه/1991م).

53. نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، ابن الجوزي(597ه)، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، بيروت، سوريا، ط/3، (1407/1987م).

54. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، (1415ه/1995م).

55. الوحي المحمدي، ثبوت النبوة بالقرآن ودعوة شعوب المدينة إلى الإسلام دين الأخوة الإنسانية والسلام، محمد رشيد رضا، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ط/3، (1406ه).